

أعمال ندوة: مصر وألمانيا في القرنين التاسع عشر والعشرين في ضوء الوثائق، تحرير وجيه عبد الصادق عتيق، ود. فولفجانج شفانتس، جامعة القاهرة، الناشر دار الثقافة العربية، 1997.

سياسة ألمانيا الاستعمارية في شرق إفريقيا: محاولات استغلال النفوذ الديني للسلطان العثماني للتغلغل في زنجبار (1885-1889)

عبد الرؤوف سنو#

بإنشائها " وكالة أنباء الشرق " (Deutsche Nachrichtenstelle für den Orient) عام 1915، التي قصد بها أن تكون " الأداة المدنية المركزية للسياسة الألمانية في الشرق أثناء الحرب العالمية الأولى " (1)، بدأت ألمانيا تحاول الاستفادة من الإسلام لأول مرة رسمياً لأجل أهداف الحرب، وذلك بإثارة المسلمين الخاضعين للعدو بشتى أساليب الدعاية وحثهم على الجامعة الإسلامية وتحريضهم على " الجهاد " ضده (2). وعشية تلك الحرب، سارت ألمانيا في سياسة مشابهة. فخطابا الإمبراطور الألماني في دمشق وطنجة عامي 1898 و 1905 على التوالي وعزفه على " النعمة الإسلامية " باعتباره أفضل صديق وحامٍ للإسلام (3)، كانا تنويجاً لهذه السياسة الهادفة إلى لعب " الورقة الإسلامية " في ذلك الوقت (4). كما عكست تقارير المستشرق ماكس فون أوبنهايم (Max von Oppenheim)، التي كان يبعث بها من مقر عمله كملحق في القنصلية الألمانية العامة في القاهرة ما بين عامي 1896 و 1910، اتجاهات الدبلوماسية الألمانية في جعل الإسلام ركناً أساسياً في سياسة ألمانيا الخارجية ومناهضة منافسيها وبخاصة بريطانيا وفرنسا (5).

وإذا كانت فترة التسعينات والسنوات الأولى من القرن العشرين قد شكلت مرحلة تبلور سياسة ألمانية رسمية تقوم على الاستفادة من قوة الإسلام بلغت ذروتها أبان الحرب العالمية الأولى، فإن وثائق ألمانية أخرى كشفت النقاب عن أن ألمانيا قد عملت خلال مستشارية بسمارك على استغلال الإسلام وصفة السلطان العثماني كخليفة وروابط الجامعة الإسلامية بين المسلمين لأجل مصالحها السياسية والاستعمارية (6).

لقد عالجت في إحدى دراساتي السابقة مسألة استغلال ألمانيا أثناء مستشارية بسمارك روابط الجامعة الإسلامية بين السلطنة العثمانية والمغرب الأقصى (1885-1888) لأجل مناهضة نفوذ فرنسا في شمال إفريقيا (7). وليس بعيداً عن وادي النيل، سار بسمارك أثناء الفترة نفسها في سياسة مشابهة في ركن آخر من إفريقيا، وهو زنجبار، عندما حاول استغلال صفة السلطان العثماني كخليفة وروابط الجامعة الإسلامية بين الدولة العثمانية وتلك الدولة لتثبيت نفوذ بلاده الاستعماري في شرق إفريقيا.

بريطانيا، زنجبار والتغلغل الألماني في شرق إفريقيا

حتى مطلع الثمانينات من القرن التاسع عشر، عندما بدأ المستعمرون الألمان ينفذون مخططاتهم في شرق إفريقيا، كانت بريطانيا قد استكملت بناء إمبراطوريتها الاستعمارية في الهند وضمنت مصالحها هناك من خلال إقصاء منافسيها وتأمين سلامة مواصلاتها إليها (8). وفي إطار هذه الاستراتيجية، عمدت عام 1861 إلى تمزيق وحدة السلطنة العربية- الإفريقية، مسقط - زنجبار وضمنت في العام التالي استقلال كل منهما على حدة في تصريح مشترك مع فرنسا (9).

وحتى عام 1884، حافظت بريطانيا على مصالحها في شرق إفريقيا من خلال وضع سلاطين زنجبار تحت إشرافها السياسي والعسكري (10) ودعم نفوذهم على طول ساحل شرق إفريقيا من وارشايك (Warsheick) في الشمال حتى رأس دلغادو (Kap Delgado) عند المستعمرات البرتغالية في الجنوب (11)، إضافة إلى المناطق الداخلية لهذا الشريط الطويل، دون تحديد دقيق لحدود هذه المناطق (12). وقد سيطر سلاطين زنجبار على طرق المواصلات التجارية في المنطقة التي تربط داخل إفريقيا بالساحل، وكان لهم ممثلون في طابورة (Tabora) (أوجيجي (Ujiji) (13).

و بالمقابل، عمل حكام زنجبار على تحقيق ثلاثة أهداف بريطانية رئيسية في المنطقة، وهي: عدم السماح لأية دولة في الحصول على موطئ قدم على ساحل شرق إفريقيا، وجعل بلدهم مركزاً تجارياً دولياً لتسهيل تجارة بريطانيا مع الهند، وأخيراً منع تجارة الرقيق تحت شعار "الإنسانية"، الذي رفعته تلك الدولة (14).

وعندما بدأت "جمعية الاستعمار الألمانية" (Gesellschaft für deutsche Kolonisation) وعلى مسؤوليتها الخاصة (15) مشاريعها الاستعمارية في المناطق البرية الخاضعة لسيطرة سلطان زنجبار سيد برغش بن سعيد، خشيت بريطانيا من أن تضع ألمانيا زنجبار نفسها تحت حمايتها، مما يشكل تهديداً لمصالحها في الهند (16)، و"يفتح باباً خلفياً إلى النيل"، (حسب تعبير تايلور 17). فحاولت أن تقف بادية الأمر في وجه ألمانيا، واستحصلت في 6 ديسمبر 1884 من السلطان برغش على تعهد خطي (اتفاقية مانعة) بـ "ألا يقبل حماية أية دولة، أو أن يتنازل عن حقوقه في السيادة، أو عن أي جزء من أملاكه ... لأية دولة دون استشارة الإنجليز" (18).

وفي الوقت نفسه، حذرت بريطانيا ألمانيا بالا تتعرض لاستقلال زنجبار (19). ولكن عزلتها الأوروبية وتنافسها مع روسيا حول أفغانستان وخلافاتها مع فرنسا وتطورات المسألة المصرية، فضلاً عما أحدثته اتفاقيتها مع البرتغال بشأن مصالحهما الاستعمارية في الكونغو من شجب أوروبي (20) - أعطت كل هذه المسائل بسمارك أوراق ضغط مهمة للحصول من بريطانيا على اعتراف بسياسته الاستعمارية في العالم (21).

وبالنسبة لشرق إفريقيا وزنجبار تحديداً، رأت بريطانيا وخصوصاً منذ وصول المحافظين إلى السلطة برئاسة ساليزبوري (Salisbury) في صيف عام 1885، أن زنجبار أصبحت أقل أهمية من السابق بالنسبة إلى الهند (22). فقررت ألا تقف في وجه النشاطات الاستعمارية الألمانية،

وذلك لسببين: أولهما، الخشية من أن يؤدي تصارعها مع ألمانيا حول زنجبار إلى فقدان الدولة الأخيرة استقلالها (= خسارتها لمصالحها) (23)، وثانيهما، أن يوظف " دخول " ألمانيا إلى شرق إفريقيا لتحسين علاقاتها معها وتنسيق سياستها الأوروبية وبخاصة ضد فرنسا في مصر، وروسيا في أفغانستان والدولة العثمانية (24). ولهذا، وقفت بريطانيا مكتوفة اليدين تجاه إعلان ألمانيا حمايتها على المناطق التي تناولتها اتفاقيات " جمعية الاستعمار الألمانية " مع المناطق الداخلية المواجهة لساحل شرق إفريقيا (تصريح الحكومة الألمانية في 27 فبراير 1885)، وحثت السلطان سيد برغش على الاعتراف بالمحميات الألمانية كي لا يخاطر باستقلال بلاده (25). كما أمرت جون كيرك (John Kirk) ، قنصلها في زنجبار، بأن يكون على انسجام مع قنصل ألمانيا هناك (26). ونتج عن هذا " الوفاق " اتفاق الدولتين في الأول من نوفمبر 1886 على تحجيم حدود سلطنة زنجبار بشكل كبير (27) وإطلاق يد ألمانيا في شرق إفريقيا (28).

الصدام الألماني - الزنجباري : مسيباته ونتائجه

لفت ازدهار زنجبار الاقتصادي والتجاري في النصف الأول من القرن التاسع عشر (29) ، ثم تحولها منذ افتتاح قناة السويس (1869) إلى مركز للتجارة الدولية (30)، أنظار الألمان ، حيث عقدت معها مدن الهنزا (Hansastädte) عام 1859 " معاهدة تجارة وملاحة وصداقة " (31) كانت الأساس في تطوير ألمانيا فيما بعد مصالحها التجارية في شرق إفريقيا واحتلالها المركز الثاني في تجارة زنجبار الخارجية بين عامي 1869 و 1871 (32).

وقد حافظت الحكومة الألمانية حتى مطلع عام 1884 على هذا النوع من العلاقة، إذ رفضت عامي 1867 و 1870 دعوتين من سلطاني ويتو (Wittu) وزنجبار على التوالي لوضع نفسيهما تحت حمايتها (33) ، وكذلك دعوات متكررة من دوائر ألمانية لتدشين سياسة استعمارية في إفريقيا والعالم، مكتفية بمنح دعمها إلى التجارة الألمانية فيما وراء البحار تحت شعار "السياسة الاقتصادية " (Wirtschaftspolitik) (34). ولم تحظ حركة الاستعمار الألمانية بتشجيع بسمارك إلا في عام 1884، عندما وجد أنها تخدم حملته الانتخابية ومناوراته الداخلية ضد أحزاب المعارضة (35).

وفي إطار التعديل الذي طرأ على سياسة ألمانيا الاستعمارية، حظي كارل بيترز (Carl Peters) (36)، مؤسس " جمعية الاستعمار الألمانية " (21 إبريل 1884) بدعم بسمارك لعقد معاهدات حماية مع المناطق الداخلية لشرق إفريقيا المواجهة لزنجبار وهي أوساغارا (Usagara) وأوزيغوا (Useguha) ونغورو (Nguru) وأوكامي (Ukami)، إضافة إلى اثنتي عشر اتفاقاً مع زعماء أفارقة محليين، وذلك بين نوفمبر وديسمبر 1884 (37). وبعدها أكد بسمارك لبريطانيا في أكثر من مناسبة عدم وجود نوايا لبلاده تجاه استقلال زنجبار (38)، أصدر الأمبراطور وليم الأول في 27 فبراير 1885 مرسوماً أعلن فيه وضع هذه المناطق تحت حمايته (39) {Schutzbrief} وعهد بإدارتها إلى " شركة شرق إفريقيا الألمانية " (Die Deutsch-Ostafrikanische Gesellschaft) التي انبثقت عن الجمعية السابقة في 2 إبريل 1885 (40).

وكان هذا القرار كافياً لإشعال أزمة سياسية بين ألمانيا وزنجبار حول تبعية تلك المناطق: ألمانيا التي تعتبرها غير مملوكة وينسجم استعمارها مع مقررات مؤتمر الاستعمار الذي انعقد في برلين بين 15 نوفمبر 1884 و 26 فبراير 1885 (41) وتسعى في الوقت نفسه للاستحواذ على

مزيد من الأراضي وربطها بالساحل، وسلطان زنجبار، الذي اعتبر قيام المحميات الألمانية اعتداءً صريحاً على سيادته المتوارثة في المنطقة، خصوصاً أن مناطق الحماية كانت تقع على طرق التجارة بين ميناء دار السلام وبحيرة تنجانيقا عبر طابورة مما يضر بعائداته الجمركية (42).

ودون أية معرفة لما طرأ من تعديلات على سياسة بريطانيا تجاه استعمار ألماني في شرق إفريقيا، وربما مدفوعاً من قبل الممثلين القنصليين في بلاده تبعاً للاتهامات الألمانية (43)، قام السلطان برغش بتصعيد الموقف قولاً وعمل. فأرسل إلى وليم الأول وبسمارك يحتج على اغتصاب أراضيها، كما اشتكى ذلك إلى الدول الكبرى (44). وفي الوقت نفسه، قام بتحركات عسكرية في مناطق الحماية الألمانية وعلى أطرافها وأرسل ممثلين عنه إلى هناك (45). وعندما علم في 4 يونيو 1885 بأن ويتو قد أصبحت بدورها تحت الحماية الألمانية، سارع إلى إرسال قوات إلى لامو (Lamu) ليكون على مقربة من الأحداث (46). وفي الثامن من يوليو أبلغ كيرك رؤسائه أن كيليمينجارو (Kiliminjaro) قد أصبحت بدورها تحت الحماية الألمانية (47).

لقد وفرت الأزمة بين ألمانيا وزنجبار لبسمارك فرصة الإعلان عن مظاهره للأسطول الألماني أمام سواحل زنجبار بغية تحقيق هدفين رئيسيين:

1- إظهار عظمة الإمبراطورية الألمانية التي تحمي مصالحها الاستعمارية وتدافع عنها بالقوة، (48)، وبالتالي إفهام الإنكليز نوايا بلاده الاستعمارية وابتزازهم بالحصول منهم على مزيد من التنازلات. وقد استغل بسمارك في هذا المجال الإرباك الذي أصيبت به الحكومة البريطانية في أعقاب ضربات المهديين وإخلاء السودان (49)،

2- إجبار السلطان برغش على الاعتراف بالمحميات الألمانية وانتزاع معاهدة تجارية منه والحصول على امتيازات في مرافئه على ساحل شرق إفريقيا لربط المحميات بالساحل (50).

وأمام تهديد قصف زنجبار بواسطة الأسطول الألماني وضغوطات بريطانيا على برغش للاعتراف بالمحميات الألمانية وتحريك ألمانيا مسألة ميراث سالمة شقيقة برغش، التي تزوجت ألمانيا وتنصرت (51)، اعترف السلطان المذكور في 13 أغسطس بالمحميات الألمانية (52). وأثناء المفاوضات مع ألمانيا حول المعاهدة التجارية، التي وقعت في 20 ديسمبر عام 1885 (53)، وافق السلطان في سبتمبر من العام نفسه على السماح للشركة الألمانية باستثمار جمارك ميناء دار السلام وبناء محطة فحمية فيه وأن يُستعمل من قبل الأسطول الألماني (54).

وبالرغم من عمل اللجنة الدولية ما بين أواخر عام 1885 ونهاية تشرين الأول من العام التالي على ترسيم حدود سلطنة زنجبار (= تحجيمها)، ظلت التناقضات الألمانية - الزنجبارية تحمل معها إمكانيات الصدام بين الدولتين. وكان انتشار الإسلام في مناطق الحماية الألمانية أو على أطرافها يشكل برأي المسؤولين الألمان تهديداً لسلامة الرعايا الألمان والمحميات ويعيق توسعها، وخصوصاً وقد تأكد لهم اتصالات سيد برغش بالعنصر الإسلامي هناك لتحريضه ضد بلاده. ولهذا سوف تتسم دبلوماسية بسمارك المقبلة في استغلال " الإسلام العثماني " للتأثير على " الإسلام الإفريقي "، وذلك في سبيل تدعيم أمبراطوريته الاستعمارية في شرق إفريقيا.

أدى تكثيف الاستعمار الأوروبي من هجومه على البلدان الإسلامية في القرن التاسع عشر والتدخل في شؤونها واضطهاد شعوبها (55) إلى ردود فعل إسلامية عبرت عن نفسها من خلال تيارات فكرية - صوفية - سياسية (56) تستجيب لهذا التحدي من منطلقات إعادة تجديد الإسلام وتفعيل مفاهيم الأمة عند المسلمين (57).

وبتعرضها بدورها لخطر الاستعمار، شهدت قارة إفريقيا نشوء العديد من الحركات الإسلامية والطرق الصوفية أو تفعيل نشاطات القديم منها (58)، مما انعكس انتشاراً لمبادئها وللإسلام ولمشاعر الجامعة الإسلامية في شمال إفريقيا ووسطها، بعدما تم اختراق الصحراء الكبرى. ويذكر مونترنبرغر أن كل البلاد في إفريقيا شمال خط عرض 10، باستثناء الحبشة، أضحت إسلامية وأن نصف سكان القارة أصبحوا مسلمين (59). وقد قوبلت هذه "الصحة" بتحذيرات في الأدبيات الاستشراقية والإعلام الغربي آنذاك تدعو حكومات أوروبا وكنائسها إلى اتخاذ إجراءات حاسمة ضد الإسلام. فكتب المبشر زفير يقول: "إن انتشار الإسلام في إفريقيا هو أكثر الظواهر الملفتة للنظر في القرن التاسع عشر... وهو يشكل خطورة جديدة في الظرف الحالي" (60).

كانت ألمانيا من بين دول الاستعمار التي واجهت مسألة انبعاث الإسلام في إفريقيا (61) ورأت ضرورة محاربتة أو احتوائه. فبعد قيام مناطق حمايتها في غرب إفريقيا وشرقها عامي 85/84، أصبحت تحتك بالإسلام مباشرة لأول مرة، سواء داخل المحميات أو على أطرافها: الكامرون من جهات غرب السودان وبحيرة تشاد وجنوبها وجنوبها الشرقي والغربي، وتوغو، من نواحي النيجر (62). كذلك، فإن قيام محميات ألمانية في شرق إفريقيا بين المحيط الهندي وبحيرة تنجانيقا في الداخل جعلها محاطة بالعنصر الإسلامي من الشمال والشرق والجنوب (63). إضافة إلى ذلك، فإن وضع ويتو تحت حمايتها ومحاولات الشركة الألمانية مطلع عام 1886 وضع تانا (Tana) وأجزاء من ساحل الصومال تحت حمايتها، جعل ألمانيا تحتك بالإسلام هناك (64).

إن أول إشارة إلى إدراك ألمانيا مخاطر الإسلام على أمبراطوريتها الاستعمارية في إفريقيا، كانت رسالة بعث بها فريدريش فون رادوفيتز (Friedrich von Radowitz) سفيرها في العاصمة العثمانية، إلى بسمارك في الثاني من إبريل 1886 تحدث فيها عن نمو الطريقة السنوسية في شمال إفريقيا وعن امتداد نفوذها غرباً حتى السنغال، وجنوباً حتى بحيرة تشاد. ولفت السفير إلى ما تشكله هذه الطريقة الصوفية من تهديد للنفوذ الأجنبي في المنطقة (65). وقد أولى بسمارك هذه المسألة اهتماماً ملحوظاً وطلب من رادوفيتز ضرورة أن تعطي ألمانيا مسألة نمو الإسلام في إفريقيا عناية خاصة "لأن موقف السكان المسلمين في إفريقيا" كما جاء في رسالة له إلى سفيره "هو عامل يجب علينا أن نأخذه بعين الاعتبار في مشاريعنا الاستعمارية هناك" (66).

لقد كانت هناك عدة اعتبارات جعلت بسمارك يضع "الإسلام الإفريقي" ضمن استراتيجيته الاستعمارية وهي :

- 1- استمرار النزاع بين ألمانيا وزنجبار في شرق إفريقيا رغم تشكيل اللجنة الدولية، وقيام الشركة الألمانية بعقد المزيد من معاهدات الحماية، وتحريض السلطان برغش المسلمين ضد ألمانيا (67)،
- 2- التوقعات بأن يزحف الألمان بعد فرض حمايتهم على ويتو إلى أعالي النيل عبر المرتفعات الداخلية (68)،
- 3- مخططات ألمانيا لتوسيع مناطق استعمارها في شرق إفريقيا ليشمل ساحل الصومال وداخله حيث يضعها مباشرة في مواجهة العنصر الإسلامي (69)،
- 4- مخططات ألمانيا بعد فرض حمايتها على الكامرون وتوغو للتمدد شمالاً باتجاه النيجر وبحيرة تشاد (70)، واحتمال اصطدامها بالطريقة السنوسية المندفعة إلى عمق القارة الأفريقية، وبالمهدين، الذين أصبحوا بعد عام 1885 يهددون حوض التشاد (71)،
- 5- اعتقاد المستشار الألماني بأن الممثلين القنصليين البريطانيين في زنجبار يعملون بمعزل عن حكومتهم ضد مصالح بلاده ويثيرون السكان المسلمين ضدها (72).

وهكذا أصبح همّ بسمارك هو كيفية توفير الحماية للمحميات الألمانية والظروف الملائمة لرواد الاستعمار الألماني من أجل الاستحواذ على مزيد من الأراضي دون الاصطدام بمسلمي تلك المناطق أو التعرض لمقاومتهم. وكان ما لحق بالفرنسيين في السنغال من مقاومة إسلامية واغتيال أحد أعضاء بعثة استكشاف إيطالية على يد أمير هرر، جعلاً بسمارك يخشى، كما جاء في رسالة له إلى سفيره في الأستانة، من " ... أن يشتد التحريض ضد الأجانب خطورة واتساعاً بين السكان المسلمين في شمال القارة الإفريقية كلها من قبل متعصبين دينيين " (مسلمين) (73)، وأن يتعرض رواد الحركة الاستعمارية الألمانية من رحالة وعلماء ومستكشفين وتجار ومبشرين للاذى على يد المسلمين (74). ويذكر مارتن إن السكان المحليين في إفريقيا كانوا ينظرون إلى هؤلاء على أنهم "جواسيس" لبلادهم (75).

وقبل ولوجها طريق الاستعمار، كانت ألمانيا تسعى لدى الباب العالي للحصول منه على فرمانات لتسهيل نشاطات رعاياها وتحركاتهم في مناطق إفريقيا الإسلامية (76). وبطرح السلطان عبد الحميد الثاني نفسه خليفة على المسلمين بعد الحرب الروسية - العثمانية (1877-1878) وتقديمه بصفته هذه خدمات إلى بريطانيا ضد روسيا في المسألة الأفغانية بحث أمير كابول على التحالف مع الدولة الأولى باسم الجامعة الإسلامية (77)، رأى بسمارك أن يعمل بدوره على الاستفادة من قوة السلطان العثماني الروحية في سبيل مشاريعه الاستعمارية. فكتب إلى رادوفيتز يقول: "إنه من المفيد في ضوء هذه الظروف (النشاطات الاستعمارية الألمانية في إفريقيا الإسلامية) إذا ما استطعنا أن نجعل السلطان (العثماني) يستخدم نفوذه كخليفة ويجعل الحكام في إفريقيا (شرقها وغربها)، الذين يعترفون بسلطته الروحية أو الزمنية، يسهلون التحرك السلمي للتجار والرحالة العلماء الألمان" (78).

وبعدما كان السلطان العثماني عبد الحميد قد أكد للسفير الألماني على نفوذه في إفريقيا وإنه يستطيع أن يحرك المنطقة كلها ضد دول الاستعمار (79)، طلب بسمارك من رادوفيتز أن يتصل بالسلطان العثماني للحصول على وساطته لدى حكام إفريقيا لتسهيل نشاطات الألمان في القارة. واعتقد المستشار الألماني أن عبد الحميد لن يرفض طلبه، خصوصاً أن ألمانيا كانت لا تتبع سياسة استعمارية تجاه ممتلكات السلطنة الأوروبية أو الآسيوية وليس لها نوايا لتحجيمها (80).

بالفعل، كان بسمارك على حق في مقولته هذه، إذ لم يكن لبلاده اهتمام استعماري مباشر تجاه السلطنة، وهذا ما أتاح لها أن تتغلغل فيها سلباً وتحصل على نفوذ. فقبل قليل (1880)، أرسل بسمارك بعثة فيتندورف (Wittendorf) لإصلاح الإدارة العثمانية، وبعثني أوتوكيلر (Otto Köhler) وفون در غولتز (Von der Goltz) لإعادة تأهيل الجيش العثماني عامي 1882 و1883، ووافق على تزويده بالسلاح (81) - هذه الأمور مجتمعة ساعدت بسمارك على التقرب من عبد الحميد للحصول على دعمه في إفريقيا. وبالمقابل، أبلغ بسمارك السلطان العثماني باستعداده لأن يرد "صنيعه" هذا من خلال دعمه في مجالات أخرى (82). قد فهم السلطان العثماني ذلك على أنه تأييد لسياسة بلاده في المغرب الأقصى.

وفي 15 يونيو 1886 بعث رادوفيتز إلى بسمارك يقول أنه أجرى اتصالاً مع رشيد باشا، سكرتير السلطان الخاص، وحدد معه المناطق الإسلامية الإفريقية التي ترغب ألمانيا أن يتصل بها عبد الحميد بصفته الروحية، وهي: ساحل شرق إفريقيا وداخله وكذلك حكام مناطق الصومال التي يدعي سلطان زنجبار تبعيتهم له، والمناطق الغربية من الكامرون إلى توغو حيث توجد سلطنات إسلامية على حدودهما. كذلك، طلب السفير الألماني أن تستخدم الدولة العثمانية نفوذها في شمال إفريقيا لدى القبائل الإسلامية المعادية للأجانب (83)، وبخاصة لدى الشيخ المهدي السنوسي لازالة أية شكوك من ناحيته تجاه ألمانيا، إن لم يكن الحصول على دعمه لها (84).

لقد كشفت اتصالات السفير الألماني في الآستانة عن مسألتين هامتين: مدى ضعف تأثير عبد الحميد كسلطان - خليفة على الشيخ السنوسي، حيث تبين أن السنوسية تعترف به خليفة طالما أن سياسته تتسجم مع الشريعة الإسلامية ومبادئها (85). بالإضافة إلى ذلك، أبلغ السفير المستشار الألماني أن تلك الحركة سوف لن ترحب بتوسط السلطان لمصلحة "المسيحيين" وبالتالي، فإن السلطان لن يستطيع اقناعها " ... بأن مصالح الإسلام لن تصاب بالأذى في إفريقيا من جراء الرايخ الألماني " (86). أما المسألة الثانية، فكانت وجود امكانية أن يتصل السلطان العثماني بحاكم زنجبار، وذلك بعدما أكد له المسؤولون العثمانيون أن نفوذ عاهلهم ينتشر على كل ساحل شرق إفريقيا، وإن علاقات ودية تجمع ما بينه وحاكم زنجبار وأن الأخير " ... يُقر بسيادة السلطان العثماني الدينية وأنه يجري التعبير عن ذلك من خلال البعثات وتبادل المراسلات " (87). ويذكر العظم أن السلطان برغش كان قد طلب في السابق من العثمانيين وضع بلاده تحت حمايتهم، لكن خروج السلطنة منهكة من الحرب مع روسيا عام 1878 حال دون ذلك (88).

إن تأكيدات المسؤولين العثمانيين على سمعة سلطانهم الدينية في شرق إفريقيا من جهة، وضعف تأثير عبد الحميد على السنوسي من جهة أخرى، جعلت بسمارك يطلب من سفيره في العاصمة العثمانية بأن تُترك مسألة السنوسي جانباً ويجري التركيز على وساطة السلطان مع حاكم زنجبار بما يخدم المصالح الألمانية في شرق إفريقيا: أن يتوقف برغش بن سعيد عن سياسته المعادية للألمان ويمتنع عن الإيعاز للتجار العرب الموالين له على تحريض زعماء القبائل الزنجبية ضد المصالح الألمانية ويوفر كل المستلزمات لتطوير التجارة الألمانية في بلاده (89)، بمعنى آخر، ألا يعيق برغش مشاريع ألمانيا الاستعمارية في مناطق نفوذه.

وتحت عنوان " رغبة شديدة في علاقات حسنة مع حاكم هذه البلاد (السلطان سيد برغش) ... وازالة الارتياح القائم " بينه و بين ألمانيا والاقلاع عن ظنونه تجاهها وأن يأخذ منها موقفا

و(دياً90)، أراد بسمارك أن يقوم السلطان العثماني بـ " تبييض " صفحة ألمانيا لدى حاكم زنجبار وإظهار حسن نواياها و" حضارية " رسالتها الاستعمارية (91) وأنها "لا تريد الانتقاص من الأسس المادية لوجوده ولا من مقدار اتساع أراضيه التي اعترفت بها ... وأنها تمد إليه يدها بود"، كما جاء في رسالة لبسمارك إلى هاتزفادت، سفيره في لندن (92).

والواقع، كانت هناك أسباب أخرى جعلت بسمارك يسعى لتوسط عبد الحميد بينه وبين برغش. فبين تشكيل لجنة ترسيم حدود سلطنة زنجبار في ديسمبر 1885 وصدور قرار اللجنة المذكورة في أول نوفمبر 1886، تدهورت العلاقات الزنجبارية- الألمانية على الرغم من سماح برغش بن سعيد لشركة شرق إفريقيا الألمانية باستثمار جمارك مرفأ دار السلام (26 سبتمبر 1885) وعقده مع ألمانيا معاهدة تجارية (20 ديسمبر 1885). فخلال الفترة المذكورة، لم يستجب سلطان زنجبار لمطالب الشركة الألمانية بمنحها أراضٍ حول مينائي دار السلام وبنغاني (Pangani) (93). وفي أغسطس 1886 اشتكى برغش إلى بسمارك بأن الشركة الألمانية تفرض رسوماً وضرائب في مرفأ دار السلام أكثر مما تجيزه اتفاقية عام 1885 بهذا الشأن. كما عبر أكثر من مرة عن استيائه من تصرفات القنصل الألماني ووكلاء الشركة الألمانية في بلاده، فضلاً عن الاستفزازات المتكررة التي كان يقوم بها البحارة الألمان في مرفأ زنجبار وكأنه بلد محتل (94). وخلال مطلع عام 1886 قام لوكاس (Lucas)، مدير الشركة الألمانية في زنجبار، بمحاولة وضع مبروك بن راشد المزروع في (95)، خصم السيد برغش تحت حماية شركته. وبالرغم من فشل المحاولة، فقد ظل مبروك وبدعم ألماني شوكة في خاصرة سلطان زنجبار (96). وأثناء عام 1886، أسست الشركة الألمانية محطة لها في دونه، على بعد عشرة أميال عن باغامويو (Bagamoyo) على الطريق التجاري إلى مرفأ ممباسة الهام مدعية أن ذلك حصل بموافقة الزعماء المحليين. وبالرغم من نفي هؤلاء الرواية الألمانية، واحتجاج السلطان برغش، فقد أقيمت الشركة على محطتها هناك (97). وفي صيف 1886 تلقى بسمارك تقريراً من مندوبه في اللجنة الدولية لترسيم حدود زنجبار يفيد أن سلطانها لا يزال يؤكد على حقوقه في داخل شرق إفريقيا (98).

وفي 20 أغسطس 1886، زفَ رادوفيتز إلى بسمارك النبأ السار، وهو موافقة السلطان عبد الحميد على إرسال كتاب إلى السلطان برغش يتضمن رغبات ألمانيا في شرق إفريقيا، وأنه يجري صياغة رسالة إليه باللغة العربية وأن الباب العالي لا يود ان يُرسل الكتاب مباشرة إلى برغش، بل بشكل سري عبر وزارة الخارجية الألمانية في برلين ومن هناك إلى زنجبار، وذلك كي لا تعلم به بريطانيا (99). وبعد يومين أبلغ السفير بسمارك أن الصدر الاعظم كامل باشا يفضل طريقة أخرى لإيصال الكتاب إلى مصدره عبر والي اليمن في صنعاء (100).

وبعد مرور أسبوعين على ذلك، تلقى بسمارك من سفارته في الأستانة ما يفيد أن الكتاب لا يزال في مكتب التحرير وأن العمل جارٍ لترجمته وإرساله إلى صنعاء (101). وفي 27 سبتمبر أكد الصدر الاعظم للسفير أن الكتاب قد ترجم بالفعل إلى العربية وينتظر توقيع السلطان الذي أصيب بوعكة صحية مفاجئة (102). وما لبث رادوفيتز أن تمكن آخر الأمر من الحصول على نسخة من رسالة السلطان إلى برغش وبعث بها إلى الخارجية الألمانية في العاشر من نوفمبر 1886.

ماذا تضمن كتاب السلطان عبد الحميد إلى برغش بن سعيد ؟

استهل السلطان العثماني رسالته بمخاطبة برغش بصفته حاكماً وليس سلطاناً على زنجبار وذلك للدلالة على أعلويته. كما تحدث عن علاقات الود التي تجمع ما بين الدولتين " ... **سلطنتنا السنية** (حكومة عبد الحميد) **وبين حكومة سموكم المحروسة** (برغش بن سعيد) " (103)، وتطرق إلى روابط " **الجامعة الإسلامية الجلية** " بين البلدين. وبالنسبة إلى ألمانيا، عرض رغبتها في " ... **تسهيل المعاملات التجارية وتبادل المنافع** ... (مع زنجبار) **مجردة عن شؤون سياسية أخرى** ... " (104). وختم السلطان رسالته بالتأكيد على حسن العلاقات العثمانية - الألمانية.

وعندما اطلع بسمارك على الرسالة، رأى أن فائدتها تتوقف على كيفية تفسير النص من قبل السلطان برغش (105). أخيراً، لا يشير ملف " دائرة الاستعمار (Kolonial-Abtheilung) الذي بين أيدينا إلى أن السلطان برغش قد تسلّم بالفعل رسالة السلطان عبد الحميد.

استنتاج

إن مساعي بسمارك لاستغلال الصفة الدينية للسلطان العثماني وروابط الجامعة الإسلامية بين المسلمين تدل على ادراك ألمانيا، اسوة بدول استعمارية أخرى، أهمية الخلافة والجامعة الإسلامية وجعلها أداة لخدمة أهدافها الاستعمارية، وإن قبول عبد الحميد تأدية " خدمات " لها في هذا المجال أو التظاهر بذلك كان يندرج في لعبة السلطان العثماني لظهار البعد الخارجي للجامعة الإسلامية والحصول من تلك الدولة على مكاسب تقوي من نفوذه الدولي. وفي هذا المعنى جاءت رسالته إلى برغش.

وبالرغم من أن بسمارك نظر إلى الجامعة الإسلامية كحركة تعصب ديني تهدد النفوذ الأجنبي في شمال القارة وشرقها، إلا أنه لم يجد حرجاً في السعي للتسوية مع الحركات والطرق الصوفية في إفريقيا وحتى الاعتراف بعبد الحميد خليفة واستخدام قوة هذا المنصب الروحية والسياسية طالما أن ذلك يحقق مآربه الاستعمارية، هذا في الوقت الذي كانت فيه دوائر غربية تحذر من تسييس الجامعة الإسلامية وما يشكله ذلك من خطر على الإمبراطوريات الاستعمارية. وبرأينا، لم يكن هذا الموقف يحمل تناقضاً بالنسبة لبسمارك، بل كان يصب في أصول " لعبة " الدبلوماسية التي كان هو سيدها في أوروبا. ففيما كانت الدولة العثمانية لا تساوي في نظره " **عظمة جندي بوميرانى** " (106)، فقد كان المستشار الألماني يلهث وراء خطاب من " خليفة " لا ترتبط زنجبار به بأكثر من علاقات شكلية.

كان بسمارك يريد من برغش أن يوقف معاداته لمشاريع ألمانيا الاستعمارية في شرق إفريقيا وتحريضه المسلمين ضدها. فإذ برسالة عبد الحميد إليه لا تتحدث سوى عن " **تسهيل المعاملات التجارية** (لألمانيا) ... **مجردة عن شؤون سياسية** ... " ، وهو ما كانت توفره معاهدة الإمتيازات بين ألمانيا وزنجبار لعام 1885. لم يكن الألمان هم الذين يشكون من إعاقة تجارتهم أو سوء تطبيق المعاهدة التجارية تلك كي يطلبوا تدخل السلطان العثماني، بل إن السلطان برغش هو الذي اشتكى أكثر من مرة من أن الأهداف الاستعمارية الألمانية تجاوزت مسألة التجارة إلى اقتحام سيادته على أراضيه، ورأى بوضوح أن لا إنفصال بين العلم الألماني وبين التجارة الألمانية (107)، وهو ما أكدته

مظاهرة الأسطول الألماني أمام سواحل زنجبار في صيف 1885 والاتفاق البريطاني - الألماني في 1 نوفمبر 1886 ثم الإستيلاء على سواحل البلاد تحت ستار استئجارها وأخيراً، معاهدة 1890 بين الدولتين الاستعمارييتين حول تقاسم مناطق النفوذ في شرق إفريقيا. ولقد كشفت تحركات ألمانيا في شرق إفريقيا ما بين عامي 185 و1890 عن نواياها الاستعمارية في المنطقة. فنقربها إلى السلطان عبد الحميد الثاني بصفته " خليفة "، ما كان سوى محاولة لاستغلال الجامعة الإسلامية والقوة الروحية لمنصب الخليفة لأجل تسهيل تغلغلها في المنطقة. وعندما اصطدمت مصالحها مع تلك لبريطانيا، لم تتوان عن عقد تسوية استعمارية معها، مطيحة بتعهداتها السابقة للسلطان العثماني حول " حضارية " رسالتها الاستعمارية وأهدافها في تطوير العلاقات التجارية مع تلك المنطقة من إفريقيا. فبعدما فرضت ألمانيا عام 1889 حمايتها على الساحل الممتد من ويتو جنوباً حتى قسمايو شمالاً وعقدت في العام التالي معاهدة حماية مع أوغنده، سارعت بريطانيا إلى تسوية خلافاتها الإستعمارية معها وتقاسم مناطق النفوذ على ساحل شرق أفريقيا وداخله. وكانت الظروف الدولية وعدم تحمس كابريفي (Caprivi)، خليفة بسمارك، للتوسع الاستعماري تساعد على هذا التفاهم. وفي المعاهدة البريطانية - الألمانية (1 يوليو 1890) تخلت ألمانيا عن مطامعها في زنجبار والساحل الشرقي من ويتو إلى قسمايو، مقابل اعتراف بريطانيا لها بالسيادة على منطقة في شرق إفريقيا تمتد من بحيرة فكتوريا إلى أراضي الكونغو ومن بحيرة نياسا إلى بحيرة تنجانيقا. وبموجب هذه المعاهدة دعمت بريطانيا نفوذها في أوغنده وكينيا ومنعت ألمانيا من التطلع إلى وادي النيل. إضافة إلى ذلك، حصلت ألمانيا من بريطانيا على جزيرة هليغولند في بحر الشمال (108).

هل خدع السلطان عبد الحميد إذن بسمارك وبعث إلى برغش برسالة لا تؤدي غرضها ؟ إن هناك مؤشرات تدل على عدم جدية السلطان العثماني في تبني المشروع الإستعماري الألماني. فعندما حدد رادوفيتز مع رشيد باشا المناطق التي يهم ألمانيا أن تتصل بها الدولة العثمانية، كان ذلك في 15 يونيو 1886. وللحصول على موافقة السلطان على المشروع الألماني، تطلب ذلك أكثر من شهرين كاملين (حتى 20 أغسطس). وبين صياغة الرسالة ثم ترجمتها إلى العربية وتوقيع السلطان عليها وبحث كيفية إيصالها إلى هدفها، مرت أسابيع أخرى. وفي 20 نوفمبر، أي بعد مرور أكثر من خمسة شهور على طلب بسمارك الوساطة العثمانية، تبين للمستشار الألماني أن الرسالة الموعودة لاتزال، وحسب الرواية العثمانية، في طريقها إلى اليمن (109).

هل كان لهذا " التلكوء العثماني " علاقة بما كانت تخططه الدول الاستعمارية الثلاث (بريطانيا وألمانيا وفرنسا) في اللجنة الدولية لترسيم حدود سلطنة زنجبار (= تجسيمها إلى عدة جزر صغيرة وشريط ساحلي ضيق)، ما جعل السلطان العثماني يتريث لناحية توقيت رسالته إلى برغش (موافقة وترجمة وتوقيع وإرسالاً) ويحفظ بالنسبة إلى فحواها ؟

من المؤكد أن عبد الحميد كان يتابع بدقة مجريات الأحداث في إفريقيا وخصوصاً بعد الاحتلالين الفرنسي والبريطاني على التوالي لتونس ومصر وأحداث السودان والتهديدات الإيطالية لطرابلس، وكان يدرك بالتالي ما يُخطط لزنجانبار. ونحن نعتقد أن الصفة الدينية (خليفة) التي تدخل بها السلطان العثماني في مسألة العلاقات الألمانية - الزنجبارية وسياسة الجامعة الإسلامية التي كان ينتهجها ببعدها الخارجي، كانتا تحتمان عليه مقاومة حركة الاستعمار تجاه البلدان الإسلامية، أو على أقل تقدير عدم الإنزلاق في مخططاتها. وبهذا المعنى نفهم مغزى رسالته إلى برغش بن سعيد. فهو لم يش أن يجعل من نفسه أداة استعمارية ضد بلد إسلامي، ورأى أن يستخدم في الوقت

نفسه الدبلوماسية والتكتيك في علاقاته مع الدول الأجنبية. ففي أعقاب اندلاع الثورة ضدها في زنجبار (أغسطس 1888)، سعت ألمانيا مجدداً إلى تسخير قوة السلطان العثماني الروحية لأجل مآربها الإستعمارية. فحاولت مطلع عام 1889 تشكيل "قوة شرطة" عثمانية لقمع تلك الانتفاضة. بيد أن عبد الحميد رفض تجنيد مسلمين للعمل في "خدمة دولة أجنبية مسيحية"، وبرز الصدر الأعظم ذلك للسفير الألماني، بأن صفة السلطان الدينية كخليفة لا تخوله الإقدام على مثل هذه الخطوة (110).

الحواشي

أستاذ تاريخ العرب الحديث والمعاصر في الجامعة اللبنانية - الفرع الأول (بيروت).
Martin Krüger, Revolution als Programm. Ziele und Realität deutscher
Orientpolitik im Ersten Weltkrieg, in: Wolfgang Michalka ed. Der Erste Weltkrieg
, München/Zürich 1994, p. 366.
(2) باندلاع الحرب العالمية الأولى، وضع مستشرقون ألمان خطأً لاستخدام "الجهاد" ضد الحلفاء من خلال تنظيم القوى الإسلامية ونشر الدعاية بين المسلمين ودفع الأموال إلى قادتها واطهار ألمانيا على أنها صديقة للإسلام. وضمن هذا التوجه، لعبت السلطنة العثمانية وإمكانية تأثيرها كخليفة إسلامية على الشعوب الإسلامية دوراً حاسماً. وقد اضطلعت "وكالة أنباء الشرق" التي أدارها المستشرق أوبنهايم، راجع ملفات الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية - بون R1510-1536 (=1915-1918, Deutschland Nr. 126g adh1, Acten
betreffend : Tätigkeit der Nachrichtenstelle für den Orient
Politisches Archiv des Auswärtigen Amtes-Bonn, في هذا الخصوص انظر
R20936 , Acten betreffend den Krieg 1914 , Unternehmungen und
gegen unsere Feinde, Nr. 11, Bd.1, Oppenheim an Aufwiegelingen
Bethman- Hollweg ,Nr. 1&2 , Berlin 18/81914; K. Axenfeld an den
Peter Kultusminister R 20943, 12/9/1914 . ويمكن استشارة مقالة
deutsche Propagandazeitung im I Weltkrieg, in : Die Heine , Al- Jihad- Eine
Welt des Islams, NS 20(1980), pp 197-199; Irmgard Jacobsen, German
Attempts to Influence the Intellectual Life in the Ottoman Empire During World
War I, in: Revue d'Histoire Maghrebine 59/60(1990), pp. 95--100.

(3) انظر ، عبد الرؤوف سنو ، المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين 1841-1901، بيروت 1987
281-282؛ المؤلف نفسه، الدبلوماسية الألمانية ومحاولات إحياء الجامعة الإسلامية بين السلطنة العثمانية
والمغرب الأقصى (1870-1890)، في: حوليات (بيروت) 6(1991/1992)، ص 152.

(4) خلال زيارته إلى الشرق عام 1898، القى الإمبراطور وليم الثاني خطاباً في دمشق أعلن فيه عن صداقته
للمسلمين في العالم وللسلطان العثماني عبد الحميد الثاني فاتحاً بذلك الطريق أمام سياسة المانية مضادة لبريطانيا في
العالم الإسلامي، انظر كتابي المصالح الألمانية ص 281؛ وبعد "الوفاق الودي" بين بريطانيا وفرنسا في إبريل
عام 1904 بشأن مصر والمغرب وفي أجواء التحدي بين ألمانيا من جهة والدولتين المذكورتين، قام وليم الثاني
مطلع نيسان 1905 بزيارة إلى طنجة، وأعلن من هناك إنه يعتبر سلطان المغرب حاكماً مستقلاً تماماً وإن بلاده
مفتوحة للتنافس السلمي بين الأمم، انظر -1898 British Documents on the Origins of the War
1914, George Peabody Gooch/ Harold Temperley eds. 11vols. , London 1926-

1938, vol. V, White to Lansdowne, no 72, Tanger 2/4/1905; The Near East from Within, F.O. 8 vo 9289, p. 75.

PAAA, Orientalia Generalia 9, Nr. 1, Acten betreffend : Berichte des (5 Freiherrn von Oppenheim über orientalische Verhältnisse , R 14554, 12 Bde. 1896.

Bd. 3, Denkschrift "Die panislamische Bewegung " وتحديداً - 1910 Oppenheim an Hohenlohe -Schillingfürst , Nr. 45, A 8657, Kairo 5.7.1898.

(6) انظر على سبيل المثال مقالتي السالفة الذكر، الدبلوماسية الألمانية ، و Bundesarchiv Abteilungen Potsdam (=BArchP)Auswärtiges Amt (=AA), Kolonialabteilung AI Nr. 823, Acten betreffend : Stellung der Sultan der Türkei zu den deutschen Unternehmungen in Ost_Afrika, 29/4/1886- 14/12/1886.

(7) انظر دراستي ، الدبلوماسية الألمانية ، مرجع سابق ذكره.
(8) Ronald Robinson/John Gallagher / Alice Denny, Africa and the Victorians , New York 1968 p. 42;
WM. Roger Louis, "Great Britain and German Expansion in Africa, 1884-1919", in: Prosser Gifford/WM. Roger Louis/Alison Smith (eds.), **Britain and Germany in Africa**, New haven/London 1976, p. 4.

British Parliamentary Papers (= BPP) , Accounts and Papers , Africa No 1 (9 (1886) : Correspondence relating to Zanzibar, Jan. 1886: Aide-memoire communicated to Earl Granville by Count Munster, May 5, 1885 , No. 25 ; Robert Geran Landen, Oman Since 1856, Princeton/ New Jersey 1967, 206, 275. وقارن بدراسة سني محمد علي عبد الجبار الطائي، دور السياسة البريطانية في تقسيم السلطنة العربية الإفريقية ، في : الوثيقة (المنامة) 12 (1988) ص 142-155.

(10) Robinson ect., Africa and the Victorians, op. cit. pp. 46-48 وعندما تبوأ سيد برغش سدة السلطنة في زنجبار تعهد ، **... to do everything in his power to be agreeable** ، Robnson, ect., Africa and the Victorians, ، نقلاً عن: **to the British Government** ، p.46.

(11) Bruno Kurtze, Die Deutsch-Ostafrikanische Gesellschaft, Jena 1913, p. 18. لا يوجد تحديد دقيق لانتساع سلطنة زنجبار. ففي عام 1871 ذكرت إحدى لجان مجلس العموم البريطاني التي كانت تتقصى تجارة الرقيق في ساحل إفريقيا الشرقي أن سلطان زنجبار يسيطر على 350 ميلاً على طول ساحل شرق إفريقيا. وبعد عامين، أكد مبعوث بريطاني أرسل إلى زنجبار أن السلطان برغش يسيطر على شريط ساحلي يبلغ طوله 660 ميلاً، في حين تحدث تقرير للبحرية البريطانية عن 640 ميلاً، انظر، BPP/ Accounts and Papers, Memorandum in inclosure No. 134 Salisbury to Kitchener,

F.O..17/10/1885.

- A.J.P. Taylor, Germany's First Bid for Colonies 1884 - 1885, repr. USA (12
1967 , p. 85.
- Andreas Birken, Das Sultanat Zanzibar im 19. Jahrhundert, Diss. (13
Tubingen 1971, p. 8.
- Robinson ect., op. cit. 42ff. (14
- Norman R. Bennett, A History of the Arab State of Zanzibar, London 1978, (15
p.126
- Bennett p. 125 ; Kurtze . 57. (16
- Taylor , op. cit.p. 85 نقلا عن: **"opens a back door to the Nile."** (17
- نقلا عن السيد رجب حراز، بريطانيا وشرق إفريقيا، القاهرة 1970 ص 62. (18
- Europäischer Geschichtskalender , Hrsg. Ernst Delbruck 1885, p. 16. (19
- Louis, op. cit. p. 7 , 10 ; The New Cambridge History, ed. F.H. (20
Hinsley , vol.11, Cambridge 1967,pp604-605; Historical Dictionary of
European Imperialism , James S.Olson ed. , New York 1991, p. 54.
- (21 للإستحواد على Lüderitzbucht واطلاق يد ألمانيا في استعمار نيو غينيا (Kaiser-Wilhelm -Land)،
انظر: Taylor p. p66-79 ; Kurt Büttner Die Anfänge der deutschen Kolonialpolitik in Ostafriak, Berlin (Ost) 1959, p. 60, no. 94
وبالنسبة لتوغو والكامرون، صرحت الخارجية
البريطانية بأن الحكومة had **" no jealousy of the Germans as neighbours in those territories [Togo and Cameroons] ; they welcome them as friendly rivals in the race of commerce and civilization"** quoted from Roger Louis, op cit. p. 4.
- Robinson ect. Africa , op. cit. p. 196. (22
- المرجع السابق ص 194. (23
- Roger Louis , Great Britain and German Expansion in Africa, op. cit. (24
pp.10- 12; Bennett , op. cit. p. 129.
- (25 Robinson ect. Africa , p. 194. وبتاريخ 20 مايو 1885 أبلغت الحكومة البريطانية
قنصلها في زنجبار بأنها ترحب بتطوير الألمان مشاريعهم في المناطق غير المملوكة المتاخمة لزنجبار
بشكل لا يسيء إلى مصالحها وإلى حقوق سلطان برغش، انظر: BPP/Accounts and Papers
Granville to 1(1886) op. cit. Lister to Kirk, op. cit. No. 28 , F.O. 20/5/1885
0Malet; No. 29, 25/5/1885 ;
يحث السلطان برغش على الاعتراف بالمحميات الألمانية. BPP/Accounts and Papers, op. cit.
Salisbury to Scott, No. 90 , F.O. 12/8/1885.
- Bennett p. 128. (26
- (27 بموجب الاتفاق البريطاني - الألماني، اعترفت الدولتان بسيادة برغش على جزر بمبا (Pemba) ومافيا
(Mafia) ولامو (Lamu) وعلى عدد من الجزر الصغيرة التي تبعد مسافة 12 ميلاً بحرياً. وفي البر، اعترفت
الدولتان بسيادة سلطان زنجبار على الشريط الساحلي من منبع نهر ميننغاني (Minningani) من خليج تونغني (Tunghi)
حتى كيبيني (Kipini)، انظر في هذا الخصوص كتاب Carl Peters , Die Gründung von Deutsch- Ostafrika, Berlin 1906, pp. 132- 133.

28) نتيجة لاطلاق بريطانيا يد ألمانيا في شرق إفريقيا، اتسعت المستعمرات الألمانية بشكل كبير بعدما قامت الشركة الألمانية بعقد المزيد من إتفاقيات الحماية، بحيث وصلت مساحتها إلى 60 ألف ميل مربع، انظر جاد طه ، الصراع الإستعماري في حوض النيل، لات لام ص 8 .

Ahmed Hamoud Al-Maamiry, Omani Sultans in Zanzibar(1832-1964), New Delhi 1988, p.16.

و:لأ. و. هولنجرورث، زنجبار (1890-1913)، ترجمة وتعليق حسن حبشي، القاهرة 1968 ص 6-8. خلال ولايته على زنجبار (1806 - 1856)، عمل السلطان سعيد على منح الدول الأجنبية "معاهدات امتيازات" وسمح لها بفتح قنصليات في بلاده وفرض ضريبة جمركية موحدة في كل مرافئ زنجبار بنسبة 5% ، انظر هولنجرورث، مرجع سابق ص 7.

Hans Wagner, Die Dynastie der Saids in Sansibar, in : **Grenzboten**(Leipzig 30) , Jg. 55, 4/47 (1896), p. 363 ; Birken, p. 1.

31) حول تفاصيل هذه المعاهدة التجارية ، راجع M?rz Archiv Merseburg Key 2 Bd. 11, 1886- 31 März 1887 , Nr. 889.

Büttner, Die Anfänge, op. cit. p. 68, no. 25; Kurtze, p. 32. (32

BPP/Accounts and Papers, op. cit. Bismarck an Münster (33

Communicated to Granville by Münster 6/6/85) Nr. 43 Berlin 2/6/1885;

Bennett , p. p126-127.

كان سلطان ويتو على خلاف مع سلاطين زنجبار ويرفض التبعية لهم، انظر Hamburgischer

Correspondent Nr. 161, 12/6/1885 “ Deutsche Colonial-Erwerbungen in Ostafrika “ Nr. 161 , 12/6/1885.

34) سنو ، المصالح الألمانية ، مرجع سابق ص 266؛ حراز ، مرجع سابق ص 55.

Louis pp6-7 ; Gerhart Binder, Geschichte im Zeitalter der Weltkriege, Bd.1 (35 (1870

1945),Stuttgart 1977, pp75-76 ;Wolfgang Mommsen, Der europäische Imperialismus ,Göttingen 1979, p. 82.

36) يعتبر كارل بيترز (1856-1918) أحد كبار رواد حركة الاستعمار الألماني ومؤسس "جمعية الاستعمار الألمانية " عام 1884. نشط على ساحل شرق إفريقيا وفي داخله، حيث عقد إتفاقيات مع زعامات إفريقية، وما لبثت الحكومة الألمانية أن وضعتها تحت حمايتها. وفي 1890/1889، تمكن بيترز من عقد إتفاقية حماية مع ملك أوغنده، كانت أحد أسباب استعجال بريطانيا تسوية خلافاتها الإستعمارية مع ألمانيا لتحديد مناطق النفوذ (معاهدة هلغولند- زنجبار ، 1 يوليو 1890). وفي عام 1891، عُين بيترز مفوضاً حكومياً، ثم طرد من منصبه بسبب سوء معاملته للمواطنين الأفارقة Meyers Grosses Taschenlexikon, Bd. 17.

Mannheim/Wien/ Zürich 1981 p. 22; Bd. 9, p. 271.

Kurtze p. 8 ;BArchP, Reichskolonial Amt 359, Bismarck an Wilhelm I, Nr. (37

705 , 26/2/1885 حيث تذكر الوثيقة أن مساحة الأراضي التي عقد بيترز معها إتفاقيات حماية هي ما

بين 2000-3000 ميلاً مربعاً وتصل في بعض الأحيان إلى مسافة تبعد 6 أميال عن الساحل.

38) في 28 نوفمبر 1884 أعطى بسمارك بريطانيا تأكيدات بأن بلاده **“ was not endeavouring to obtain a protectorate over Zanzibar , as meaning that she considered that country beyond the sphere of her political activity”** BPP/Accounts and

Papers , op.cit.Granville to Malet , No.1 F.O.14/1/1885 ويذكر Taylor p. 86 أن

بسمارك كان يعني بذلك جزيرة زنجبار فقط.

39) جاء في كتاب الحماية ما يلي : " نحن ولیم ... إمبراطور ألمانيا وملك بروسيا ... نمنح الدكتور كارل بيترز.. حمايتنا في امتلاك الأراضي للشركة في شرق إفريقيا غربي مملكة سلطان زنجبار وخارج مناطق الدول الأخرى ... ونضع مناطق نغورو وأوساراغا وأوزيغوا وأوكامي، التي عقد الدكتور بيترز مع حكومتها اتفاقيات، تحت حمايتنا...ونعلن أننا قبلنا هذه السيادة .." نقلاً عن: Kurtze pp 9-10 . قارن النص كاملاً بـ Dokumente der Deutschen Politik und Geschichte von 1848 bis zur Gegenwart, ed. Johannes Hohlfeld, Bd. 1 p. 410.

Rochus Schmidt , Geschichte des Araberaufstandes in Ost-Afrika , (40 Frankf.a.O 1892 p. 4. حراز ، مرجع سابق

ص 68 حاشية 1.

BArchP, Reichskolonial-Amt 359 , AA , Noten Entwurf, März 1885. (41

42) حراز ص 29-34.. ان اقتصار اهتمامات البوسعيديين وخصوصاً سيد برغش على التجارة دون تخطيط للاستحواذ على المنطقة الداخلية كما فعل الأوروبيون هو الذي جعل الوقت يداهمهم عندما جاء الألمان إلى شرق إفريقيا، فلم يستطيعوا أن يثبتوا نفوذهم في مناطق هيمنتهم التجارية، انظر: Birken p. 11 ; Wagner, Die Dynastie der Saids in Sansibar, op. cit. p. 364.

43) Kurtze pp 57-58; Europäischer Geschichtskalender p79 ; BPP/Accounts and Papers op. cit. Granville to Malet, No. 21 , F.O. 29/4/1885.

44) Bennett pp 128-129. (45Peters p. 118 ; Kurtze 57-58.

46) Das deutsche Geschwader in Sansibar 1885 . Aus dem Nachlass von Admiral Otto Hertig, in: Afrika-Nachrichten 22(1941) , No. 12 p. 196.

47) Robinson ect. Africa, op. cit. p. 195 . كان جون كيرك من المنتقدين لسياسة حكومته في شرق إفريقيا ويعتقد ان تنازلها أمام الألمان هو بمثابة " ... **تخل تام عن نفوذها** على الساحل الإفريقي الشرقي وفي الداخل " ، نقلاً عن: Roger Louis p. 12.

48) لقيت سياسة بسمارك بالتلويح باستخدام القوة العسكرية ضد زنجبار ترحيب الرأي العام الألماني. فكتبت صحيفة " **Norddeutsche Allgemeine Zeitung** " تقول: **"Damit ist Deutschland zum ersten Male als Weltmacht im Indischen Ozean etabliert"** نقلاً عن: Europäischer Geschichtskalender, p. 121 . أما الأميرال هرتيغ ، فعلق قائلاً: **" Es war ein erhebender Stolzer Anblick für uns Deutsche, die Macht unseres Vaterlandes hier zum ersten Male in socher Fülle und in so grossem Masstabe vor einem Volke und einem Regenten entfaltet zu sehen , der absichtlich von anderen Nationen über Deutschlands Macht zur See im Unklaren gelassen und erhalten worden ist "** نقلاً عن: Das deutsche Geschwader in Sansibar 1885, op. cit. p. 197.

49) مكي شبكيه، السودان عبر القرون ط2 ، القاهرة 1965، ص 337.

50) Büttner, Die Anfänge, op. cit. p. 59 no. 86.

51) Veit Valentin, Illustrierte Weltgeschichte, fortgeführt von Albert Wucher/Ulrich Riemerschmidt , Bd. 2 , Köln 1976 p. 1242 ; Büttner p. 52 , no. 39 . وحول مسألة الأميرة سالمة، شقيقة برغش، التي تزوجت التاجر الألماني هاينريش رويته Heinrich Ruete وأطلقت على نفسها إسم إميلي ، انظر مذكراتها تحت عنوان: Emily Ruete, Salima Prinzessin von Oman und

Sansibar, Lebens-Erinnerungen einer arabischen Prinzessin, Berlin 1886
London 1888. وقد توفت الاميرة سالمة في ينا Jena عام 1924. وقد أعيد طبع هذا الكتاب والتعليق عليه
عام 1989 تحت عنوان:
im Sultanspalast , Frankf.a.M.

Europäischer Geschichtskalender op. cit. p. 121. (52)

(53) تضمنت هذه المعاهدة 23 بنداً يتعلق بحرية التجارة الألمانية ومنع الاحتكارات وتحديد ضريبة الاستيراد بـ
5% ، إلى جانب حقوق الرعايا الألمان القضائية والتجارية وممتلكاتهم ، انظر نص المعاهدة في: BArchP, AA.
II U Afrika 11862 ,Acta betreffend : Die Handels-und Schifffahrtsverhältnisse mit
Zanzibar AA II 13013, 18/11/1885 ; Bd. I , Nov. 1885 bis .Sept. 1897.

Bennett p. 130, 135; Schmidt 18; Kurtze pp 59-60. (54)

(55) يقدر Victor Berard , Le Sultan, l' Islam et les puissances, Paris 1907 , pp 36-37

عدد مسلمي العالم الخاضعين لدول الاستعمار بلغ في الربع الأخير من القرن التاسع عشر 180 مليوناً إلى
185 مليوناً مسلم من أصل 230 مليوناً إلى 235 مليوناً. ويرى Baron d'Estournelles de
Constant, Les congregation religieuses chez les Arabes et la conquete de
l'Afrique Nord , Paris 1887 p. 70
ويضيف قائلاً: "إن دور الضابط الاستعماري ، الذي يتولى مهمة القضاء على قوى الإسلام، هو الأكثر شرفاً
والأكثر نفعاً يمكن أن يقوم به المرء لأجل وطنه ."

(56) انظر دراستي، الدبلوماسية الألمانية ومحاولات احياء الجامعة الإسلامية بين السلطنة العثمانية
والمغرب الأقصى (1870- 1890)، مرجع سبق ذكره، ص 123-124.

(57) المرجع السابق ص 124.

(58) حسن صبحي، التنافس الإستعماري الأوروبي في المغرب (1884- 1904) ، القاهرة 1965 ص 59-

Edward Sell, Islam in Africa, in: *The Moslem World*, 1(1911), pp. 60
136--146.

E.F.A. Münzenberger, Afrika und der Mohammedanismus , Frankf. a.M. (59)
1889, p20. لكن المبشر زفيمر، يرى أن عدد المسلمين في إفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر بلغ 59

Samuel M. Zwemer, Der Islam, übersetzt von Elisabeth مليوناً من أصل 134 مليوناً
Groeben , Kassel 1909 p. 194.

(60) Zwemer, op. cit. 195; وعلى كل حال تحتوي الأدبيات الأوروبية المعاصرة على تفاصيل وافية
حول مواقف الغرب من حركة الجامعة الإسلامية، حيث توصف بالرجعية وأنها شبح مخيف واكليريكية خطيرة
هدفها إثارة الحقد واكتساح الحضارة الأوروبية والمدنية.

O. Stollowsky, Der Islam und Deutsch- Ostafrika , in: Die deutschen Kolonien. (61
Jg.8 Nr. 1(1909) , pp. 173-177.

Münzenberger pp. 17-20. (62

Sell p. 146; Zwemer 195; Münzenberger pp. 9,12. (63

Schmidt p. 5. (64

BArchP/823 , AA. Kolonial-Abtheilung AI , Acten betreffend : Stellung des (65
Sultans der Türkei zu den deutschen Unternehmungen in Ost-Afrika, Innere
Angelegenheiten 32a, vom 2.4.1886 bis 14 Dez. 1886 , Radowitz an Bismarck,
Nr. 83, A4584, Pera 2.4. 1886
R 14613, Die Muhamedaner in Afrika, Afrika Generalia 5. ضمن ملف

**"...da die Haltung der muhamedanischen Bevölkerung in Afrika ein (66
Faktor ist, mit welchem wir bei unserer dortigen Colonial-Unternehmungen
rechnen müssen** BArchP/823, Bismarck an Radowitz, Nr. 105 zu A 4584 ,
Berlin 28/4/1886.

R 14613, Die Muhamedaner in Afrika وقارن بالوثيقة نفسها في أرشيف بون

BArchP /823, Bismarck an Radowitz, Nr. 188 zu A 7729, Berlin 15/7/1886 (67
وقارن:

R14613, Die Muhamedaner in Afrika بالوثيقة نفسها في أرشيف بون
(68 حراز ، مرجع سابق ص 76.

BArchP/823, Bismarck an Radowitz, Nr. 105 zu A4584, Berlin 28/4/1886. (69

Weltgeschichte in zehn Bänden, ed. Akademie der Wissenschaften der (70
UdSSR , übersetzt aus dem Russischem , Bd. 7, Berlin (Ost) 1965, p. 234f.

(71 جاك فريمو، فرنسا والإسلام ، ترجمة هاشم صالح، بيروت 1991 ص 97 ; محمود شاکر، السودان ط2، بيروت
/دمشق 1981 ص 35-36 P..M. Holt, A Modern History of the Sudan, 2nd. ed. London 1963 , pp. 77-88.

Die Große Politik der Europäischen Kabinette (=GP) 1871-1914 . Sammlung
Diplomatischen Akten des Auswärtigen Amtes, im Auftrage des (72der
Auswärtigen Amtes hrsg. von Johannes Lepsius /Albrecht Mendelson-Bartholdy
/ Friedrich Thimme, Bd. 4 , Bismarck an Hatzfeldt, Nr. 792, Berlin 21/4/1886

كيتشنر بالعمل ضد مصالح بلاده في

لجنة ترسيم حدود زنجبار GP/Bd.4, Bismarck an Hatzfeldt , .Nr. 810, Berlin 26/3/1887
وعطفا على ذلك، تلقى كيرك تعليمات من Rosebery وزير الخارجية البريطانية، تطلب اليه الإمتناع عن أي
موقف معاد للألمان وأن يكون على علاقة حسنة مع القنصل الألماني في زنجبار GP/Bd.4, Hatzfeldt
an Bismarck, Nr. 793, London 22/4/1886.

(73)

**“... dass eine fremdenfeindliche von religiösen Fanatikern geleitete
Agitation unter der muhamedanischen Bevölkerung des ganzen
Nordafrikanischen Continents an Ausdehnung und Gefährlichkeit gewinnt
“** , BArchP/823 , Bismarck an Radowitz Nr.105, zu A4584, Berlin 28/4/1886;

وحول التحركات الإسلامية في نيجيريا وأعالي النيجر أنظر صحيفة: **New York Tribune**
25/8/1885.

(74) المرجع السابق ، الوثيقة السابقة. مطلع عام 1887 قتل كارل يولكه (Karl Jühlke)، أحد أعمدة الاستعمار
الألماني في شرق إفريقيا، على يد أحد المسلمين في قساميو ، انظر:

Emile de Groot , “Great Britain and Germany in Zanzibar: Consul Holmwood’s
Papers, 1886-1887”, in: **The Journal of Modern History** , 25(1953), pp.
128-130.

B.G.Martin, Muslim Brotherhoods in Nineteenth-Century Africa , Cambridge (75
1976, p. 109.

BArchP/823, Bismarck an Radowitz, Nr. 105 zu A4584, Berlin 28/4/1886. (76)

(77) إبان الصراع البريطاني - الروسي حول أفغانستان، طلبت بريطانيا من السلطان عبد الحميد التوسط لدى أمير كابول
“... **not as Ruler of Turkey but as Caliph, because Afghan nation is
Mussulman** “ , F.O. 424/75, Salisbury to Layard , secret No. 662 , F.O. 26/10
1878

**“ Es würde unter diesen Umständen nützlich sein, wenn es uns gelänge,
den (78 Sultan(Abdul-Hamid) zu veranlassen, seinen Einfluß als Chalif
geltend zu machen, um die seine weltliche oder geistliche Autorität
anerkennen, den Herrscher in Afrika zu betstimmen, dem freundlichen
Verkehr deutscher Kaufleute und reisenden Gelehrten daselbst keine**

Hindernisse in den Weg zu legen " ,BArchP/823 , Bismarck an Radowitz, Nr. 105 zu A 4584 , Berlin 28/4/1886.

BArchP/823 , Radowitz an Bismarck , Nr. 83 A 4584 , Pera 2/4/1886. (79)

BArchP/823, Bismarck an Radowitz, Nr. 105 zu A 4584, Berlin 28/4/1886. (80)

(81) عبدالروؤف سنو، ألمانيا وسياسة " الإندفاع نحو الشرق " . العلاقات الألمانية - العثمانية من

Hajo Holborn, 1871 - 1918 في : *دراسات إسلامية* (بيروت) 3 (1989 / 1990) ص 245 ؛
Deutschland und die Türkei 1878-1890, Berlin 1926 pp 8-33.

. BArchP/823, Bismarck an Radowitz , Nr. 105 zu A 4584, Berlin 28/4/1886 (82)
كان السلطان العثماني يرى أن يتم " تبادل الخدمات " بدعم ألمانيا إقامة السلطنة العثمانية تمثيل قنصلي لها في المغرب الأقصى، لكن بسمارك كان حذراً، اذ خشى من أن يسبب ذلك ازعاجاً لفرنسا وإسبانيا في المنطقة، انظر دراستي، الدبلوماسية الألمانية ومحاولات إحياء الجامعة الإسلامية بين السلطنة العثمانية والمغرب الأقصى، مرجع سابق ص 143-144.

BArchP/823, Radowitz an Bismarck, Nr. 140 A7729 , Pera 15/6/1886. (83)

.BArchP/823, Bismarck an Radowitz, Nr. 105 zu A 4584 , Berlin 28/4/1886. (84)
بين عامي 1885-1887، كانت بريطانيا تسعى بدورها لتحسين علاقاتها بالطريقة السنوسية، انظر F.O. 881/5137, Memorandum by Gerald H. Portal on the religion of the Sheikh Mahommed ben-es- Senoussi al-Mahdi, confidential , London 27/7/1885.

F.O. 881/5845, Information repecting Sheikh Senossi ; Shaefer to Baring , confidential Cairo 21/4/1887; Baring to Salisbury, secret No. 255, Cairo 24/4/1887.

BArchP/823, Radowitz an Bismarck , Nr. 140 A7729, Pera 15/6/1886. (85)

"... **dass die Interessen des Islams von dem Deutschen Reiche in Afrika** (86)
nicht beschädigt werden " ، المرجع السابق، الوثيقة نفسها.

(87) المرجع السابق، الوثيقة نفسها.

(88) رفيق العظم ، الجامعة الإسلامية وأوربا، في عثمان العظم " مجموعة اثار رفيق بك العظم " ، ط2،
مصر 1925/1344 ص 76.

BArchP/823 , Bismarck an Radowitz, Nr. 188 zu A7729/8495, Berlin (89
15/7/1886.

(90)

**"... haben wir da lebhaften Wunsch, mit dem Herrscher dieses Landes (Zanzibar)
dauernd in einem guten Verhältniss zu bleiben . Wir würden uns daher freuen,
wenn daselbst auch durch ?Einwirkung des türkischen Grossherrn bestimmt
werden k?nnte, den deutschen Unternehmungen in Ost-Afrika gegenüber
einzunehmen und das bisherige Misstrauens fallen zu günstigere Haltung
lassen "** , BArchP/823 , Bismarck an Radowitz, Nr. 188 zu 7729/8495, Berlin
15/7/1886.

Büttner p. 48 ; (91) جاء في مقررات مؤتمر الكونغو في 26 فبراير 1885 " ... إن الغرض من الإستعمار
هو إيصال الحضارة إلى المناطق المتخلفة (في إفريقيا) بما يشبه التبشير العلماني" ، نقلاً عن: The New
Cambridge of Modern History, vol 11, op. cit. p. 253. و" .. إن على القوى الأوروبية أن
تحمي القبائل المحلية وتقمع تجارة الرقيق وتعزز المسيحية وحرية المعتقد " ، نقلاً عن: Olson, op. cit. p.
GP/Bd. 4 , Bismarck an Hatzfeldt, Nr. 800, Varzim 14/10/1886. (9255)

Bennette p. 155. (93)

Bennett, p. 133; Groot p. 130. (94)

(95) المزروعون هم فرع من قبيلة بني ياس العمانية، حكموا ممباسة في زمن اليعاربة ثم أقصاهم اليوسعيديون
عنها في عام 1837 بعد صراع طويل، انظر حراز ص 10 حاشية 1 و ص 27.

Bennett pp 132-133. (96)

(97) المرجع السابق ص 133.

Archiv Merseburg Key 2, Bd. 11, Schmidt an Bismarck, Nr. 13 A8396, (98
Zanzibar 9/6/1886.

BArchP/823, Radowitz an Bismarck, Nr. 179 A 9947, Therapia 20/8/1886. (99)

BArchP/823, Radowitz an Bismarck , Nr. 180 A 10102, Therapia 22/8/1886. (100)

BArchP/823, Radowitz an Bismarck, Nr. 199 A 10815, Therapia 6/9/1886. (101)

BArchP/823, Radowitz an Bismarck , Nr. 214 A11740, Therapia 27/9/1886. (102)

BArchP/823, Radowitz an Bismarck , Nr. 249 A13851, Pera 10/11/1886. (103)

(104) المرجع السابق، الوثيقة نفسها.

“ ... es würde von der Auslegung des Schreibens abhängen, ob der Text dasselben nützlich wirken wird ”BArchP/823, Bismarck an Arendt, Nr 84 a 13851, Berlin 22/11/1886. (105)

(106) انظر دراستي، ألمانيا وسياسة " الإندفاع نحو الشرق "، مرجع سابق ص 244.

Büttner p. 51. (107)

(108) انظر حراز 72-83 و: Olson pp 603-604.

BArchP /823, Bismarck an Arendt , Nr. 84 a 13851, Berlin 22/11/1886. (109)

PAAA Türkei 174 , R 13952, Acta betreffend : Beziehungen der Türkei zu (110)
Zanzibar , Radowitz an Bismarck , Nr. 30 A 3138, Pera 25/2/1889
وقد قام الألمان

بتجنيد قوة سودانية جرى تدريبها في عدن، انظر هولنجروورث ص38.